النشـــاط الصـــهيوني في مصـــر

الفصل الختامي

obeikandl.com

obeikandl.com

تعتبر الفترة من عام ١٩٤٨ من وحتى عام ١٩٥٦م ، هى الفترة الحرجة فى تاريخ الطائفة اليهودية فى العصر الحديث ، وهى الفترة التى تم فيها إسدال الستار على وجودهم فى الحياة المصرية ، واعتبرت هذه الفترة بمثابة الفصل الختامى للقصة اليهودية فى مصر فى القرن العشرين ، ويطلق عليها كثير من الكتاب والمؤرخين فى إسرائيل « الخروج الثانى » ، فى اشارة إلى الخروج الأول لهم من مصر مع نبى الله موسى عليه السلام على يد فرعون مصر . وبالطبع هم كعادتهم ، لا يعترفون أن هذا الخروج كان بأيديهم ، وهم كمجموع وأفراد أصحاب المسئولية الكاملة عنه . والحقيقة ، أنه سالت كثير من الأحبار على الأوراق فيما يخص نكبة قيام إسرائيل فى ١٤ مايو ١٩٤٨م ، وما يعنينا فى هذا المقام ، هو ذلك الخروج الثانى الذى يتحدثون عنه ، والذى كانت نكبة عام ١٩٤٨م ، هى السبب المباشر فيه ، ولكن قبل الخوض فى تفاصيل وأسباب هذا الخروج ، دعنا نطل إطلالة سريعة على خروجهم الأول بغية العظة والاعتبار ، ولنا فى قصة موسى عليه السلام ملاحظتان تحدث عنهما أهل العلم والنظر وهما :

- **الملاحظة الاولى :**

أن النبى الوحيد الذى ذكرت حياته بالتفصيل الكامل فى القرآن منذ لحظة الولادة وحتى الممات ، هو سيدنا موسى عليه السلام وليس سيدنا محمد ﷺ، فقصة حياة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) ذكرت بالتفصيل فى كتب السيرة ولم تذكر فى القرآن الكريم ، أما حياة سيدنا موسى فقد أخذت حيزاً يعادل ربع القرآن الكريم ومنذ ميلاده وإلقاء أمه له فى إليم ثم كافة مراحل حياته بعد ذلك مع بنى إسرائيل وأمام فرعون ، وأن هذا له حكمة بليغة وعميقة عند الله تعالى يمكن إدراكها والتوصل إليها ، وهى أن أكبر تحد فى تاريخ الأمة الإسلامية على الإطلاق سيكون هذه الدولة الإسرائيلية ، ووراثها العالم كله ، وتمتلك أكثر من مائتى قنبلة

نووية تستطيع أن تبيد بها الملايين من المسلمين . لذلك فالأمة تحتاج إلى مرجع إلهى يكون فيه كل شئ عن عدوهم ، تاريخهم وصفاتهم ومواقفهم ، وكيف يمكن التعامل معهم ، وعندما تعود الأمة الشاردة ، يمكنها أن تجد كل شئ عن عدوها محفوظاً فى الوثيقة الإلهية ، لتدير معركتها باقتدار بأمر الله تعالى .

- الملاحظة الثانية

أن فرعون فى تعامله مع بنى إسرائيل ، كان - بخبر القرآن - يقتل أبناءهم ويستحى نسائهم ، وكان ذلك بمثابة سياسة عامة للدولة فى ذلك الوقت ، ولا يوجد ما هو أقسى وأبشع منه ، ومع ذلك كان رد الفعل الإلهى ، أن المولود الذى تخاف منه ، سوف يربى فى بيتك ، وسوف تتولى أنت رعايته فى قصرك ، ونفهم من هذا أن الله سبحانه وتعالى ، لا يعاند ، وأن الحرب ضد الله خاسرة . وأن أعداء الإسلام مهما فعلوا ، ومهما تجبروا ، فإن قدر الله آت . ونصر الله قادم . لذلك يقول الإمام ابن القيم الجوزية : « هذا الحق منصور ومبتلى ، لا تعجبن ، هذه سنة الرحمن » .

* وعودة إلى بنى إسرائيل فى مصر ، ونعنى بها الطائفة اليهودية فيها ، نجد أن تطورات الأحداث فى عام ١٩٤٨م والقرار الرسمى الذى اتخذته مصر بدخول الحرب وحالة الغضب والهياج الشعبى فى كافة أرجاء القطر المصرى كان رد فعل طبيعى وتلقائى تجاه ما يحدث فى فلسطين ، وهو ترجمة طبيعية لروابط لا يمكن لها ، أن تزول وهى اعتبارات وروابط الدم واللغة والدين والتاريخ والجوار . وأوجد هذا حالة من الهلع والرعب ومناخًا من القلق والتوتر للطائفة اليهودية بأكملها . وانقلبت حالة التسامح التى عاشوا فيها وألفوها منذ عهود طويلة إلى حالة من الكراهية والاتهام والغضب ، وكان من الصعب إقناع أى مصرى ، أن هناك فرقًا بين اليهودى والصهيونى ؛ لأن كل شئ كان منذ سنوات طويلة معروفاً ومفهوماً وسافراً ووقحاً فى صحفهم وجمعياتهم ومؤتمراتهم وزيارات أقطاب وعتاة الصهاينة ، وكان سفك الدماء

البرئية فى فلسطين يستدعى فوران الدم فى عروق وشرايين المصريين .

وكانت الصحف والإذاعات تنقل ليل نهار وقائع وتفاعلات الأحداث سواء فى ميادين المعركة أو فى أروقة ومطابخ السياسة ، وحاول الحاخام « حاييم ناحوم أفندى » رئيس الطائفة ، أن يمتص حالة الغضب والكراهية المتفجرة فى المجتمع ، وفى نفس الوقت ألا يخسر علاقته بالسلطة الحاكمة ، فأصدر بياناً يؤيد فيه دخول الجيش المصرى للحرب وأكثر من ذلك أن يطالب أبناء طائفته بالتبرع للجيش المصرى فى الحرب !! . وهو الذى تعهد فى عام ١٩٢٥م ، فى السنة التى تولى فيها رئاسة الطائفة ، أمام الزعيم الصهيونى « حاييم وايزمان » ، بأن يعمل على خدمة الصهيونية . كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، وفيما يلى نص البيان الذى أصدره الحاخام :

أبناء طائفتى الكرام

إلحاقاً للنداء الذى أمرت بتلاوته منذ أسبوعين فى جميع المعابد الإسرائيلية بالمملكة المصرية ، عند فتح الهيكل المقدس بتلاوة المزامير والابتهال إلى الله عز وجل بأن يكلأ بعنايته مولانا جلالة القائد الأعلى للجيش المصرى ويحيطه برعايته زخراً للبلاد ورمزاً لمجدها ورفاهيتها :

أتوجه إليكم مناشدكم جميعاً فى الاستمرار فى التبرع بما تجود به نفوسكم الكريمة للترفيه عن جنود الجيش المصرى . وأن يتفضل كل منكم بإرسال إيجيته إما إلى صاحب العزة سلفاتور شيكوريل بك ، رئيس مجلس إدارة الطائفة أو حاخامانة مصر . وهذا عملاً بما ناشدنا به أنبياؤنا وأسيادنا العلماء بالابتهال إلى الله عز وجل ، والعمل على ما فيه سلام الدولة وخيرها وأمنها ، إذ إن سلامتكم تتوقف على سلامتها .

أبنائى الأعزاء

إن لمصر التى ندين لها بالولاء والوفاء فى ظل مولانا الملك المفدى حقوقاً مقدسة ، على كل فرد منا كمصريين أوفياء ، أن يؤدى واجبه أحسن أداء . ففى سلامة مصر

سلامة للجميع وفى خيرها خيرنا جميعاً استمروا جميعاً فى تبرعكم تكونوا ، قد أديتم ما فرضه واجب الوطن .

ونختم نداءنا بالابتهال إلى الله عز وجل ، أن يحفظ مولانا جلالة الملك المعظم حامى البلاد والمؤيد بالتوفيقات الربانية[1] .

القاهرة فى ١٨/ ٥/ ١٩٤٨

ومحاولة الحاخام اليهودى هذه لم تنطلى على أفراد الشعب المصرى ولا الرأى العام فيه ؛ لأن وقائع وحقائق الأمور دفعت الجميع للنظر على أن الصهيونية رافد من روافد اليهودية ، أو بعبارة أخرى كلاهما اليهودية والصهيونية وجهان لعملة واحدة . ولكن الحاخام حقق الحد الأدنى مما يريده ، وهو الأهم بالنسبة له ، فقد حافظ على علاقاته بالقصر والسلطة الحاكمة ، ولم يحدث تغيير أو مواجهات عدائية من أركان السلطة المصرية ؛ وذلك لأنه فى كثير من الأحيان ، اعتبارات السياسة تختلف عن مشاعر واعتبارات الجماهير .

وجاءت سنوات ١٩٤٨م ، ١٩٤٩م ، لتكون علامة وشاهداً على هجرة بعض اليهود من مصر . بداية تناقص إعدادهم ذلك أنه فى تعداد عام ١٩٤٧م وصل عدد اليهود إلى ٦٥٦٣٩ نسمة وهو أعلى رقم وصل إليه تعداد اليهود فى مصر مقارنة بكل تعدادات السنوات السابقة ، ولكن بعد عام ١٩٤٨ وكنتيجة لعوامل ضاغطة كثيرة والمناخ العام السائد بعد الحرب وهو ما سيتم التعرض له تفصيلاً ، بدأ عدد اليهود فى التناقص فوصل عام ١٩٥٦م إلى ٤٠,٠٠٠ ، أى بنسبة نقص يصل إلى ٣٠٪ عن تعداد عام ١٩٤٧م . ثم جاء عدوان ١٩٥٦م ودخول إسرائيل كطرف فى العدوان المباشر ضد مصر بالتنسيق والتحالف مع بريطانيا وفرنسا ، ليزداد منحنى العدد هبوطاً ويصل عددهم إلى ٨٥٦١ نسمة ، أى بنسبة تناقص حادة تصل إلى

(1) شلش ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٧ .

٨٧٪ عن عددهم عام ١٩٤٧م[١] .

وإذا طرحنا بصورة منطقية التساؤل عن مجموعة الأسباب التى أدت إلى التدهور الحاد فى وجود الطائفة اليهودية بعد عام ١٩٤٨م . ولجوء الغالبية العظمى من إفرادها إلى الهجرة فيمكن إرجاع ذلك إلى مجموعتين من العوامل : الأولى عوامل رئيسية والثانية عوامل مساعدة وذلك كما يلى :

أولاً : مجموعة العوامل الرئيسية وتشمل

١- تداعيات حرب ١٩٤٨م

٢- قيام ثورة ١٩٥٢م وتغير العلاقة مع السلطة الحاكمة .

٣- جهود الوكالة اليهودية للهجرة فى عمليات التهجير .

ثانياً : مجموعة العوامل المساعدة : تشمل

١- إلغاء الامتيازات الأجنبية

٢- اتجاه التمصير وقانون التمصير

أولاً : العوامل الرئيسية

١- تداعيات حرب عام ١٩٤٨م

كما أشرنا فى مقدمة هذا الفصل ، نتج عن حرب ١٩٤٨م ، انقلاب وتغيير فى المناخ العام . وحددت السلطات الرسمية موقفها بأن عموم اليهود فى أمان سواء فى حياتهم أو ممتلكاتهم ، ولكن من يثبت تعامله مع الصهيونية بأى شكل من الأشكال فسوف يقع تحت طائلة القانون ، ويفقد بذلك صفة المواطنة والانتماء للوطن ، وقد جاءت تصريحات المسئولين المصريين على هذا النحو ، ولكن فيما يخص الموقف ورد الفعل الشعبى فجاءت بعض الاعتداءات والحوادث كرد فعل طبيعى ولا يمكن

(١)عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، مجلد ٣ ، طبعة أولى ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

مقارنتة بأى حال من الأحوال مع هول الجرائم الصهيونية على أرض فلسطين ، وكل هذه الحوادث المحدودة جاءت كنوع من التنفيس عن السخط الشعبى والغضب الجماهيرى جراء ما حدث فى عام النكبة ، ومن أمثلة هذه الحوادث ، أنه في يوليو ١٩٤٨م ، ثم إلقاء طوربيد من الديناميت بين محل شيكوريل ومحل أوريكو بشارع فؤاد فاتلف جانب كبير من المحلين ، وانفجرت قنبلة شديدة الانفجار فى محل عدس بشارع عماد الدين . وفى أغسطس من نفس العام ، حدث انفجاران شديدان أمام محل بنزايون بميدان مصطفى كامل ومحل جاتينيو بشارع محمد فريد ، تسبب عنهما إتلاف كبير[1] .

نتج عن ذلك تحطم جميع النوافذ ، وتلف كثير من المعروضات ، الزجاجية والخزف قدرت قيمتها بما يعادل ٥٠٠٠ جنيه[2] ،وفى المعادى وقع انفجار آخر فى مخزن شركة أراضى المعادى ، وكان واضحاً من خط سير الانفجارات أنها موجهة ضد محلات اليهود فقط ، وهو ما دفع سلطات الأمن إلى تكثيف عمليات الحراسة على محال اليهود وممتلكاتهم . وذلك فى محاولات أمنية وقائية لمنع المزيد من التفجيرات .

بالرغم من حراسة الحكومة والإجراءات الأمنية ، إلا أن الغضب الشعبى الجارف كان أقوى ، فقد حدث انفجار كبير فى سبتمبر فى نفس العام ، فى حارة اليهود بالموسكى ، أودى بحياة ٢٠ قتيلاً ، وإصابة ٦١ آخرين ، ونتج عنه أيضاً انهيار أربعة منازل وتصدع ستة[3] .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨م ، قتل ١٩ يهودياً وجرح ٦٢ آخرون ، اثر انفجارات أخرى ، وفى أكتوبر تعرض اليهود فى كل من القاهرة والإسكندرية للقتل والسرقة .

(1) المصور (القاهرة) ، العدد ١٢٤٣ : فى ٦ أغسطس ١٩٤٨م.

(2) الرافعى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٨.

(3) شلش ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣ .

وفى ١١ نوفمبر وضعت قنبلة مرة أخرى فى الحى اليهودى بالقاهرة[1] . وبالطبع يمكن تفهم وإدراك خلفيات ودوافع مثل هذه الأعمال ، فليس بمستغرب حدوثها على هذا النطاق المحدود ، ولكن المستغرب هو عدم حدوثها ، بالقياس إلى حجم الحدث الذى وقع فى فلسطين .

ازداد الأمر تعقيداً ، وأوجد المزيد من الاحتقان على الساحة المصرية ، عندما شنت إسرائيل غارة بالطيران خلال شهر رمضان ، وبعد شهرين فقط من قيامها . ويقال أنها كانت تستهدف قصر عابدين ، ولكن أخطأت الهدف وأصابت منطقة آهلة بالسكان فى قلب القاهرة . وكان ذلك إعلان بالتمادى فى التحدى من جانب إسرائيل ضد مصر . وانعكس ذلك بمزيد من إثارة المشاعر وحفيظة الناس على إسرائيل واليهود[2] .

وبالطبع أصبح الفصل بين إسرائيل واليهود أمراً شاقاً ويكاد يكون من المستحيلات .

واضح من السرد السابق ، أن هجرة اليهود خلال عامى ١٩٤٨م ، ١٩٤٩م ، لم تأتِ من فراغ ، وانما جاءت كانعكاسات وتداعيات الأزمة السياسية والدولية التى عمت المنطقة ، نتيجة زرع الكيان الصهيونى الغاصب فى فلسطين . وأن ردود الأفعال الشعبية فى مصر ، كانت أموراً طبيعية وكانت فى نطاق محدود لا يمكن قياسه أو مقارنته بجريمة اغتصاب وطن وطرد شعب عربى بأكمله أمام سمع وبصر العالم وبمؤامرات دولية وغربية فجة ، وبالطبع جاء ضياع فلسطين وحزب الوجدان العربى والضمير المسلم بشدة ، وأصبحت فلسطين مثل المرآة والتى عندما ينظر فيها العرب لا يمكن أن تجاملهم ولا يمكن أن تستر عيوبهم أو تغطيها .

---

(1) المصدر نفسه ، ص١٥٣ ومابعدها.

(2) الصراحة : (القاهرة) العدد الثانى ، فى ١٧/ ٩/ ١٩٥٠م .

وفى المقابل ، مثلما هزت نكبة فلسطين الضمير والوجدان العربى ، فقد انعكست أحداث الحرب وما ولدته من ردود أفعال وتداعيات على نفسية وعقلية اليهود المصريين . وتوافق المناخ المتأزم مع الميراث التاريخى والنفسى الذى يحمله اليهودى على عاتقه ويعيش به فى أعماقه ، حيث يواجه قدره الذى لا يتركه ، من حيث اللعنة والكراهية والرفض والنبذ من المجتمعات التى يعيشون فيها . وبالطبع لم يسأل اليهودى نفسه عن مسئوليته هو وقومه عن كل ما يجرى ، وإذا كان الغرب أمعن الاضطهاد لهم وقدم لهم المجازر والمذابح والطرد والتشريد عبر عصور وعهود وعقود من التاريخ . وإذا كان الغرب قدم لهم الظلم فتجرعوه ، فان الذين قدموا لهم العدل والتسامح فجحدوه لم يسأل واحد منهم نفسه هذا التساؤل ، وذلك فى الأغلب الأعم . وذلك لطبيعتهم الملتوية وتحريفهم للحقائق ، وجحودهم للحق . أن المجتمعات الإسلامية والشرقية هى الوحيدة التى احتضنتهم وآوتهم ، وكانت لهم بمثابة الملاذ الآمن ، بعد خروجهم المهين من الأندلس ، عندما أقيمت لهم محاكم التفتيش ، هذه حقائق ثابتة تاريخياً ، لا يمكن إنكارها .

وحصلوا فى هذه المجتمعات على كافة حقوقهم المدنية وحياتهم الطبيعية والأكثر من ذلك تمتعوا بما هو أكثر من الحقوق المدنية ، فقد حصلوا على الامتيازات الأجنبية ، والتى جعلت الكثير منهم كأفراد وعائلات يصلوا إلى مستوى من الحياة يصعب تحقيقه فى اى مكان آخر ، لدرجة أن الزعيم الصهيونى « حايم وايزمان » ابدى انزعاجه من أن الرخاء الاقتصادى الذى تعيش فيه العائلات اليهودية فى مصر ، يمكن أن يؤثر على ولائها للصهيونية ، فإذا كان جزاء هذه المجتمعات ، إلا ذبح شعب أعزل بشيوخه ونسائه وأطفاله ورجاله وحتى قبل خروجهم من الأندلس ، عاشوا أزهى عصورهم فى ظل الحكم العربى هناك قبل ضياع الأندلس ، والذى اعترف به « أبا أيبان » وزير خارجية إسرائيل الأسبق فى كتابه

المهم (My People) عندما قال : « شهدت الطوائف اليهودية فى إسبانيا والشمال الإفريقى ، ازدهار فى جميع مجالات الإبداع على مدى قرتين من الزمان – فى أقل تقدير تحت ظل الوصاية العربية هذا الازدهار لم يتحقق من قبل على مدار تاريخ الشتات الذى تعرض له اليهود .

وعودة إلى المناخ الاجتماعى والمعيشى والنفسى الذى كان محيطاً باليهود فى تلك الفترة ، نجد أن العرض العاطفى الذى تقدمه الصهيونية له ، بالحنين إلى وطن يأويه مع تراكم الظروف عليه ، كان منطقياً ، أن يدفع الكثيرين إلى الرحيل ، إن لم يكن اليوم ، فغداً ، والصهيونية منذ نشأتها الأولى وعلى مدار الخط الزمنى لمسيرتها وحتى اليوم ، هى تقدم لكل يهود العالم وكان منهم بالطبع اليهود المصريون عرض عاطفى وأصولى عرض عاطفى يداعب وجدان وسيكولوجية اليهودى التائة ، اليهودى الذى يشعر بالغربة ، اليهودى الذى ليس له جذور فى المجتمع الذى يعيش فيه ، اليهودى المنبوذ المكروه ، الذى يتعامل بالربا فيقابل بالكراهية ، لأنه « مرابٍ » و « مصاص دماء » ، اليهودى الذى يشعر أن وجوده مؤقت فى أى مكان ، اليهودى الذى عنوان حياته الهجرة والارتحال ، اليهودى الذى لا يشعر بالأمن أو الأمان ، اليهودى الذى يعوض فقدان الأمن باكتناز المال ، اليهودى الذى يقدم المال رشوة للحاكم من أجل الحماية ، اليهودى الذى لا يشعر بالانتماء لأى أرض ، اليهودى الذى لا يشعر بالولاء لأى مجتمع ، هذه هى الأوتار النفسية التى أجادت الصهيونية التعامل معها ، أما العرض الأصولى فقد ربطت الصهيونية نفسها بمفردات الهوية اليهودية ، فقالت: إن الوطن لغته العبرية ، وروحه التوراة . والمكان هو الأرض المقدسة واسم الدولة هو إسرائيل والعملة هى الشيكل ، والعاصمة هى القدس وقبلها تل أبيب والأرض هى أرض الميعاد .

وهكذا ربطت مشروعها باللغة والتاريخ والعقيدة ، فلم تعط فرصة لأحد لكى

يهرب منها فإذا لم يهاجر فعليه أن يدفع المال ، وإذا هاجر فعليه أن يحمل السلاح ويقاتل وهكذا قسمت الأعباء والمسئوليات والالتزامات على كل فرد ، على كل كبير وصغير ، على كل رجل وامرأة ، أى أنها وظفت الجميع وسخرتهم وفرضت نوعًا من التجنيد الإجبارى على كل يهودى سواء أكان هذا التجنيد عسكرياً أو سياسياً أو مالياً أو علمياً .. إنه الحشد القومى والاستنفار الاجتماعى ، وعسكرة المجتمع .

ومن خلال الحشد والاستنفار والعسكرة قامت ببناء الهياكل وصب الأعمدة وبناء الجدران وأقامت القلاع والحصون ، وهكذا تحولت إسرائيل إلى ظاهرة توقف عندها الباحثون والمحللون طويلاً . وعندما وقف الباحثون أمام وضعية إسرائيل ، انقسموا إلى فريقين أو اتجاهين : الفريق الأول يرى أن إسرائيل دولة وظيفية نبذها الغرب من خلال « المسألة اليهودية » وقذف بها إلينا ، وزرعها لوظيفة محددة فهى وكيل لمصالحه ورأس حربة له فى المنطقة ، حتى لا تقوم لهذه الشعوب والأوطان قائمة ، ولا تكون له نداً ، فهى عازل استراتيجى ، وقلعه محصنة يصعب اختراقها . أما هى فقد تحقق هدفها ومشروعها واغتصبت الوطن الذى ترجوه . وطالما أنها قامت بوظيفتها وحافظت على مصالح الغرب فهو يرعاها ويحميها وفى الوقت الذى تنتهى فيه وظيفتها فسوف يتركها وعلى رأس هذا الفريق الدكتور عبد الوهاب المسيرى ، ولكن هناك فريق آخر يرى أن إسرائيل ، ظاهرة سياسية مركبة ، وليست مجرد دولة وظيفية ، صحيح أنها بدأت بالاعتماد على الغرب وما زالت تحت رعايته وحمايته ، ولكنها طورت من قواها وقدراتها الذاتية وأصبحت دولة نووية ، وقوة عسكرية هائلة ، وبالتالى فهى تجاوزت وضعية الوظيفة إلى كيان قائم بذاته ، وإن لم تفرط بأى حال من الأحوال فى تحالفاتها الغربية أيضا بمستوى آخر من التحليل ، حول طبيعة علاقاتها بالغرب توجد مدرستان: المدرسة الأولى: يمكن أن

نطلق عليها المدرسة المادية ، وهى التى ترى أن ارتباط وعلاقة إسرائيل بالغرب قائم على المصالح المادية ، وأن وجود هذه المصالح القوية والارتباط المصلحى الشديد بينهما هو الذى يفسر هذه العلاقة وهو الذى يعطى مبررات قوية ومنطقية للدعم الغربى والحماية الغربية لإسرائيل وأن وجود دولة إسرائيل وصياغة دورها كوكيل عن المصالح الغربية العليا ورأس حربة للغرب بمعناها الاستراتيجى الشامل هو التوصيف الصحيح لهذه العلاقة . أما المدرسة الثانية فيمكن تسميتها بالمدرسة اللامادية ، وهى ترى أن علاقة إسرائيل مع الغرب لا تقوم على المصالح المادية فقط ولكنها تعتمد فى المقام الأول على مجموعة عناصر وأبعاد حضارية وعقائدية وثقافية عميقة الجذور فى الحضارة الغربية ، وتغذى ارتباطاتها بإسرائيل وفى الخمسينات والستينات كانت المدرسة الأولى (المادية) ، هى السائدة ولكن تدريجياً ومع حلول التسعينات وبعد حرب الخليج وضرب العراق وإقامة القواعد العسكرية الأمريكية فى المنطقة أصبحت الولايات المتحدة تحمى مصالحها بنفسها ، وأصبح لها تواجد عسكرى مباشر بالمنطقة أى أنها تحمى مصالحها بوضع اليد وليس عن طريق وكيل مصالح أو وكيل أعمال وبالتالى كان من المفترض منطقياً ، بناء على وجهة نظر المدرسة الأولى وهى المدرسة المادية ، أن تضعف علاقة إسرائيل بأمريكا والغرب لعدم الحاجة إليها فى حماية المصالح الغربية .

ولكن العكس هو الذى حدث فقد ازدادت العلاقات بينهما قوة ، مما أعطى قبولا وإقناعاً للمدرسة الثانية ، وهى مدرسة الارتباط الحضارى والعقائدى والثقافى ، حيث إسرائيل بطبيعتها لا تنتمى إلى الشرق ولكنها تنتمى حضارياً إلى الغرب ، وهى تعتبر نفسها جزءًا منه ، والغرب أيضاً ينظر إليها على أنها ولاية غربية فى الشرق ، أو قلعة غربية فى المنطقة أو قاطع وعازل غربى فى الجسد العربى .

وفى الحقيقة ، أن الارتباط الحضارى أشد قوة وعمقاً من الارتباط المصلحى

فالارتباط المصلحى ، يمكن أن يتبدل وهو ارتباط مؤقت مهما طال ، والدليل على ذلك أنه بعد الحرب العالمية الثانية ، وانتصار الحلفاء وهزيمة المحور ، كانت أوروبا مدمرة بالكامل ، وخرجت اقتصاديات دول الحرب وهى منهارة والكيان الوحيد الذى خرج باقتصاده أقوى مما كان قبل الحرب هو الاقتصاد الأمريكى لذلك تبوأت الولايات المتحدة مكانها كقوة دولية كبرى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبدافع من الارتباط الحضارى بين أمريكا وأوروبا ، قامت أمريكا بمشروع مارشال من أجل إعادة بناء أوروبا بعد الحرب وأنفقت فى هذا المشروع ملايين الملايين من الدولارات ولو أنها اعتمدت على الحساب الاقتصادى فقط ، ما أنفقت دولاراً واحداً ، أى أن الحساب هنا كان حساباً حضارياً وليس حساباً اقتصادياً أو حساب مصالح . وإذا نظرنا إلى علاقة وارتباط مصر بفلسطين كجزء من الارتباط العربى والإسلامى العام فيمكن القول ، أن هذا الارتباط هو ارتباط حضارى بالمعنى الكامل والشامل لهذا الارتباط فهو ارتباط تاريخى وارتباط عقائدى وارتباط قومى وارتباط جغرافى واستراتيجى وأن كل ما يحدث الآن بكل مظاهره ومعاناته وإحباطاته ، هو مجرد جملة اعتراضية فى سياق حضارى وتاريخى لابد له أن يستقيم .

ـ اشاعات طرد اليهود من مصر :

انتشرت فى أواخر عام ١٩٥٠ ، ترددات شائعة بقيام الحكومة المصرية بطرد اليهود المصريين كرد فعل على قيام السلطات الصهيونية بطرد العرب في فلسطين واستمرارها في ارتكاب المجازر ضدهم وقد جاء هذا أيضاً متزامناً مع إجراءات إصدار قانون الجنسية الجديد في سبتمبر ١٩٥٠م وقد جاء نشر هذا الخبر في جريدة «الصراحة» لصاحبها ألبرت مزراحى والتي سبق الحديث عنها في فصل الصحافة ، وجاء نشر الخبر تحت عنوان : اليهود المصريون يسحبون أموالهم من البنوك ويبيعون أسهمهم وجاء فى هذا الموضوع ما يلى :

«أحدث ما نشرته بعض الصحف أمس الأول من أن مجلس الوزراء سيقرر اتخاذ إجراءات بطرد بعض اليهود المصريين بسبب طرد العرب من دولة إسرائيل أحدث هذا الخبر أثراً سيئاً في الأوساط اليهودية ، حتى أن بعضهم انتهز الفرصة وقرر سحب أمواله وودائعه من البنوك وبيع ما يمتلكه من أسهم في الشركات كما حدث ذعر شديد حينما طاف بعض رجال البوليس الملكي على منازل المعتقلين السابقين للاستعلام عنهم ومعرفة عناوينهم الجديدة ، وقد اتصل كثير من كبار اليهود بالحاخام الأكبر حاييم ناحوم أفندى لمعرفة أسباب هذه التصرفات وبهذه المناسبة نشرنا تأكيداً لمصدر مسئول بأن وزارة الشعب لن تمس يهود مصر بأي سوء وأن ما نشر لا سند له من الحقيقة والواقع وقد صح ما قلنا ، فلم يعرض الأمر على مجلس الوزراء وتبين عدم صحة هذه الأخبار المزعجة وقد زار سيادة الحاخام الأكبر صباح اليوم سعادة محافظ القاهرة ، ومدير مكتب الشئون العربية بسبب هذه المسألة فأكد كلاهما لسيادته عدم صحة هذه الأباطيل[1].

وواضح من هذا الخبر أن الأمر لم يخرج عن نطاق شائعات ترددت بين الناس عموما وبين اليهود بصفة خاصة وكيف يتم نشر أخبار عن قرارات قبل أن يجتمع مجلس الوزراء ويصدرها وهذا يبين بالطبع أنها مجرد أقاويل وإشاعات وعادة الإشاعات تنتشر في أوقات الأزمات وفي الأجواء المضطربة

ويمكن رد هذه الإشاعات والتي تم تكذيبها رسمياً وإعلاميا بعد ذلك إلى مجموعة من العوامل المتشابكة كما يلي :

١- أجواء الخوف والقلق والترقيب التي خيمت على اليهود المصريين وإحساسهم بالخطر من احتمالية أو إمكانية اتخاذ الحكومة المصرية مثل هذا الإجراء كرد فعل على الممارسات الإسرائيلية بطرد العرب الفلسطينيين في ذلك الوقت .

(1) الوقائع المصرية (القاهرة) ، العدد ٦٤ – غير اعتيادى – فى ٣٠/ ٥/ ١٩٤٨م .

٢- اتخاذ الحكومة والبرلمان لإجراءات تحضير وإصدار قانون الجنسية الجديد والذي صدر في سبتمبر عام ١٩٥٠م وبالطبع مشكلة الجنسية كانت إحدى المشكلات التي واجهتها الطائفة اليهودية حيث أن أفرادها ينتمون إلى ثلاثة فئات ، الفئة الأولى: هم اليهود المصريين الثانية: اليهود الأجانب ، والثالثة: هي اليهود الغير محددي الجنسية وقد بدأ هذا الموضوع في الظهور بداية من إلغاء الامتيازات الأجنبية في عام ١٩٣٧م بمقتضى معاهدة مونترو ثم بدأ يظهر بصورة أكبر مع صدور قانون تمصير الشركات عام١٩٤٧م مما سبب إشكاليات كبيرة لليهود الأجانب وغير محددي الجنسية وأثر على مصالحهم والحقيقة أن الامتيازات الأجنبية جعلت الأجانب وفي القلب منهم اليهود بمثابة دولة داخل الدولة وأعطتهم فرص كاملة في الربح والثراء دون أي رقابة أو مساءلة أو ضرائب أو خضوع للقانون المصري ، لذلك حتى من كان منهم لديه جنسية مصرية يسعى من أجل الحصول على جنسية أجنبية . وأظهرت عملية إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧م، عدم وجود ولاء أو انتماء لمصر لدى هؤلاء اليهود ففي عهد الامتيازات الأجنبية كانوا لا يقيمون وزناً أو قيمة للجنسية المصرية لدرجة أن فئة كاملة منهم فضلت عدم الحصول على أي جنسية واعتبرته أفضل من الحصول على الجنسية المصرية وبعد إلغاء الامتيازات أخذوا يهرولون من أجل الحصول عليها فالولاء هنا ليس للوطن ولكن للمصلحة وصدق فيهم كارل ماركس عندما قال: «اليهودى لا يعبد الله ولكنه يعبد الكمبيالة وجاء قانون تمصير الشركات عام ١٩٤٧م ليضخم من مشكلة الجنسية بالنسبة لهم ، وفي الأجواء المتوترة بطبيعتها في ذلك الوقت أوجد ذلك انزعاجاً على مصالحهم واحتمالات ترحيلهم.

٣- أفرزت حرب فلسطين ١٩٤٨م تغيراً في السياسات والإجراءات الأمنية من أجل الحفاظ على أمن وسلامة البلاد وبالتالي كان هناك متابعة وملاحقة لكل من

يثبت من اليهود تعامله مع الصهيونية وخضوعه للاعتقال أو الترحيل ومصادرة الأموال ، وذلك على عكس العهود السابقة عن حرب ١٩٤٨م والتي تحدثنا عنها طويلاً في صفحات هذا الكتاب وتم ذلك بمقتضى أمر الحاكم العسكري الذي صدر في ٣٠ مايو ١٩٤٨م[1] وهذا الأمر مثل ضغوطا على هؤلاء اليهود وأوجد نوع من التوجس والترقب والتأويل لكل شئ .

٤- اتجاه التمصير ، والذي أخذ مدًا عاليًا بقوة الدفع من الحركة الوطنية المصرية وبدأ ذلك بعد النجاح في إلغاء الامتيازات الأجنبية ونتج عن ذلك صدور قانون الشركات لعام ١٩٤٧م وما أعقبه من إجراءات ألزمت بها الشركات لتوفيق أوضاعها وذلك من أجل تحقيق مصالح مصر الاقتصادية وتوفير فرص عمالة للمصريين وللإنصاف كان هذا القانون أحد النقاط المضيئة في عهد ما قبل الثورة وبالطبع سبب هذا القانون إشكاليات للأجانب واليهود الأجانب وانعكس بآثار سلبية عليهم وصورت الدعاية الصهيونية في ذلك الوقت أنه موجه ضد اليهود خاصة وبالطبع كل ذلك جعل مصر في أعينهم لم تعد كما كانت في السابق.

وقد تضافرت العوامل السابقة لتلقي بظلالها على المناخ العام وفي مثل هذه الأجواء يكون من السهل انبعاث الأقاويل والشائعات بدون سند مثل شائعات الطرد لليهود وغيرها وقد بادرت صحيفة أخبار اليوم بنفى إشاعة طرد اليهود من مصر وجاء في ذلك ما يلي : «نفت المصادر المسؤولة ، ما نشر في إحدى الصحف من اتجاه النية إلى إخراج عدد من اليهود من مصر يعادل عدد العرب الذين طردوا من ديارهم وقالت: إن المقصود بنشر الخبر هو التأثير في السوق لصالح المضاربين[2] بعد ذلك بيوم واحد سارعت جريدة الصراحة اليهودية بنشر أخبار عن المسؤولين في

(1) السابق نفسه .

(2) أخبار اليوم (القاهرة)، ٣٠/ ٩/ ١٩٥٠م.

مصر تطمئن اليهود بأن الحكومة لن تتخذ أية تدابير تعسفية ضد اليهود المصريين والأجانب ومما جاء في ذلك :

«صرح لنا مصدر مسؤول بالحكومة بمناسبة تجدد إشاعة طرد يهود مصر صرح قائلاً : «إن الحكومة المصرية حريصة على احترام القانون في كل أعمالها وتصرفاتها وليس مثلها في ذلك كمثل الرجل الجاهل الذي إذا ما اعتدى عليه فكر في سرعة الانتقام دون أن يحسب لأحكام القانون أي حساب . لذلك لا يمكننا للأسف أن نساير إسرائيل فيما ترتكب من مخالفات صارخة وهذا هو السبب الذي من أجله لم تنسرع الجهات المختصة في اتخاذ تدابير انتقامية أو بمعنى أصح اتخاذ تدابير لأعمال القصاص ضد إسرائيل . ويستطرد المسؤول في الحكومة إنه إذا كانت هناك تدابير تتخذ فلن تكون إلا ضد من يثبت خيانته وعمله لصالح الصهيونية [1] .

- قيام ثورة ١٩٥٢ وتغير العلاقة مع السلطة الحاكمة

في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قاد اللواء محمد نجيب انقلاباً عسكرياً ناجحاً أطاح بالملك فاروق وألغى الملكية وأعلن النظام الجمهوري في مصر وبدأت الحكومة المصرية الجديدة وفي الحال سياسة التشدد في مواجهة إسرائيل فأخذت تضيق الخناق على النشاط اليهودي في مصر وتساعد العمليات الفدائية ضد إسرائيل وتفرض حصاراً في قناة السويس على السفن القادمة أو الذاهبة إلى إسرائيل .

وفي الوقت نفسه بدأت تحدث تطورات على المسرح الدولي تزيد من قلق إسرائيل وقادتها وبالحاسة السادسة السياسية لدى القادة الإسرائيليين انزعجوا من هذه التطورات والتي تمثلت في أنه بعد الإطاحة باللواء محمد نجيب في شتاء عام ١٩٥٤م بدأت الحكومتان الأمريكية والبريطانية تتوددان لمصر بالنسبة للولايات

(١) الصراحة : العدد ١٢ فى ٢/ ١٠/ ١٩٥٠م – مصر لن تتخذ إجراءات تدبير ضد اليهود المصريين والأجانب .

المتحدة ، كان « جون فوستر دالاس، ينصح الرئيس الأمريكي على انتهاج سياسة مواليه للعرب ، وقام دالاس وزير الخارجية الأمريكي بزيارة للقاهرة واجتمع مع قيادات الثورة المصرية فيما يختص انجلترا فقد وافقت على سحب قواتها من قناة السويس طبقاً لاتفاقية الجلاء ومعنى ذلك أن الحصار المفروض على الملاحة الإسرائيلية في قناة السويس سوف يكون حصاراً كاملاً غير منقوص وأيضاً وافقت بريطانيا على تزويد السلاح الجوي بطائرات جديدة .

ومن هنا كان لا بد من رد فعل إسرائيلي يقطع الطريق على أي علاقات جيدة بين مصر بنظامها السياسي الجديد والقوى الفاعلة الدولية؛ لأن السكوت على مثل هذه العلاقات لا بد أن يكون خطراً وتهديداً لإسرائيل . وجاء رد الفعل الإسرائيلي فيما عرف بفضيحة لافون والتي كان لها انعكاسات سلبية على مستقبل الطائفة اليهودية في مصر والتي بدأ يتبلور انطباع لدى الرأي العام المصري ولدى كثير من النخبة الحاكمة: أن الكثير منهم يمثلون طابورً خامسًا يجب التعامل معه بيقظة وحزم وجدية.

حملة التخريب وفضيحة لافون :

في آخر شهر يناير عام ١٩٥٥م وبعد أن نظرت المحكمة في القضية حكم على اثنين من المتهمين بالإعدام وهما الدكتور موسى مرزوق والمهندس صموئيل عازار[1] وصدرت أحكام أخرى بالسجن على بقية الشباب اليهود المتورط في القضية وبالطبع كان هذا الشباب اليهودي من المصريين وعاشوا وتربوا وتعلموا في هذا الوطن ولكنهم انساقوا وراء الفكر الصهيوني واستجابوا لأجهزة تجسس ومخابرات لدولة معادية ، بغرض التدمير والتخريب لمنشآت حيوية ومصالح دول أجنبية ، وعلى وجه التحديد بدأت عملية إعداد هذا الشباب اليهودي المصري

(1)الاهرام فى ١/ ٢/ ١٩٥٥م. إعدام الجاسوسان الصهيونيان صباح أمس .

للتجسس على البلاد منذ عام ١٩٥١ [1] وذلك على يد أحد كبار ضباط الجيش الإسرائيلي ويدعى جون دارلنج وهو يهودي من أصل يمني اسمه الحقيقي «آرام دار».

جاء جون دارلنج أو آرام دار مصر واتصل باثنين من اليهود فيها وهما الدكتور فيكتور سعاديا والثاني «عبده دانون» وعمل الاثنان على تأسيس شعبيتين للمنظمة

الأولى : في الإسكندرية وكونها «عبده دانون».

والثانية : في القاهرة وكونها الدكتور «فيكتور سعادياً» والشعبتان تتلقى كلٌ منهما الأوامر والتعليمات من القيادة العليا للتجسس الإسرائيلي بباريس [2].

الخطوة التالية بعد تأسيس الشعبتين كانت اختيار عينة أو مجموعة محددة من الشباب اليهودي والتي تتراوح أعمارهم بين ١٧-٢٠سنة على الأرجح وكان العدد كبيراً وتم تصفيته إلى ١٥ متهماً بالإضافة إلى فتاة واحدة عمرها ٢٦ سنة وهذه الفتاة تدعى «فيكتور نينو» ومشهورة باسم «مارسيل نينو» وكانت بطلة أولمبية.

أما عن المتهم الأول وهو الدكتور موسى ليتو مرزوق هو يعمل طبيبا بالمستشفى الإسرائيلي بالقاهرة وأهميته أنه من قادة التنظيم السري ويتخذ لنفسه اسماً مستعاراً هو اسم بول وذلك للتمويه والسرية واعترف هذا المتهم بأنه منضم إلى جمعية سرية وأن هذا ما تم بناء على اتفاق مع دارلنج رئيس المخابرات الإسرائيلي وأن هذه الجمعية كانت تعمل لصالح إسرائيل وقت الحرب ووقت السلم.

وبالطبع أدلى بالتفاصيل الكاملة عن نشاطه ودوره في هذه الشبكة أما المتهم الثاني وهو «صموئيل عازار» هو مهندس لاسلكي في المنطقة وكان عمله الأساسي هو الأجهزة اللاسلكية واعترف بأنه شارك في الحرائق التي حدثت بسينما ريفولي

(1)الاهرام فى ٢/ ١/ ١٩٥٥م. الدفاع يواصل مرافعته فى قضية الجاسوسية.

(2)الاهرام : فى ٣/ ١/ ١٩٥٥م.

وسينما راديو ومكتب الاستعلامات الأمريكي ، كما أدلى بأقوال خطيرة كشفت عمليات التخريب وكيفية تركيب المواد الكيماوية وإشعال الحرائق وكذلك الاتصالات مع جون دارلنج وأنه كان مخططاً إعداد مصنع للمفرقعات[1] ، وإلى غير ذلك من التفاصيل وتوالت اعترافات باقي المتهمين وأدوار كل منهم واتصالاتهم مع المخابرات الإسرائيلية أثارت حملة التخريب هذه التي قامت بها الموساد في مصر وما نشأ عنها وترتب عليها من أحداث مأساوية فضيحة كبرى في إسرائيل فقد جاءت بعكس نتائجها تماما وبدلا من أن تسئ إلى مصر في أعين الغرب أساءت إلى إسرائيل فقد كانت كرصاصة ارتدت إلى صدر أصحابها . وقد عرفت هذه الفضيحة باسم «فضيحة لافون » نسبة إلى بنحاس لافون وزير الدفاع الإسرائيلي الذي أعلن أنه المسئول عنها بصفته وزير الدفاع الإسرائيلي والرئيس الأعلى للمخابرات العسكرية وبالتالي قدم استقالته.

أدت هذه الفضيحة إلى تحطيم مستقبل البعض أما بن جوريون نفسه رئيس وزراء إسرائيل ورجلها القوى فقد تعرض لانتقادات شديدة ويمكن القول أن فضيحة لافون مثلث منعطفاً سلبياً شديد الانحدار بالنسبة لموقف ومصير الطائفة اليهودية المصرية وأوصلت الأمور إلى نقطة اللاعودة وجاءت بعدها مباشرة حرب السويس في عام ١٩٥٦م لتضع السطر الأخير في القصة اليهودية على أرض مصر . وبالرغم من كل ذلك فليس صحيحاً على الإطلاق أن الخروج الإسرائيلي كان عبارة عن عملية طرد جماعي كما صورته الدعاية الصهيونية ولكن الخروج كان اختيارياً ولم تتخذ أي إجراءات سلطوية إلا ضد من ثبت أن له اتصالات أو أنشطة مع الصهيونية وبالطبع كان هناك إجراءات وقائية ورقابة أمنية وهذا أمر طبيعي تماماً لدولة في حالة حرب مع أعدائها.

(١)الأهرام : في ٢٨/ ١/ ١٩٥٥م.

٣- جهود الوكالة اليهودية للهجرة في عمليات التهجير :

من الأمور البديهية أن إسرائيل كانت تضع نصب عينيها دفع اليهود في كل الدول إلى الهجرة بما فيها بالطبع يهود الدول العربية ويهود مصر ، لذلك كانت الدعوات والإغراءات والاتصالات السرية والخفية لا تنقطع وكان اليهودى في مصر مطروحاً أمامه خيار الهجرة ليل نهار وكان تدهور الأوضاع وسوء العلاقات الاجتماعية وعمليات النبذ والرفض الاجتماعي في المجتمع المصري بالإضافة إلى تبدل الأوضاع الاقتصادية من حيث إلغاء الامتيازات والتمصير كل ذلك كان يدفع باتجاه الرحيل.

أما عن الطريقة التي هاجر بها يهود مصر إلى إسرائيل فهي تأتي ضمن خطة إسرائيل في نقل المهاجرين إليها ذلك أنها أوكلت ذلك على عدة مؤسسات مهمتها إعداد المهاجرين ونقلهم إلى إسرائيل ومن هذه المؤسسات الوكالة اليهودية للهجرة ولجنة التوزيع المشتركة الأمريكية وغيرها من المنظمات الصهيونية المختلفة ولم تقم الحكومة الإسرائيلية نفسها إلا بجهد ضئيل في هذا الشأن.

ومن أهم أدوار الوكالة اليهودية في ذلك أنها قامت بإنشاء شركة الطيران الإسرائيلية « العال » وقامت أيضاً بإنشاء شركة « زيم » للملاحة لنقل المهاجرين إلى إسرائيل[1].

ثانياً : العوامل المساعدة

سبق الحديث عن هذه العوامل وإيضاح مدى تأثيرها السلبي على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لليهود في مصر والحقيقة أن هذه العوامل والتي نعني بها إلغاء الامتيازات وقانون التمصير أثرت على الفرص العملية الاقتصادية بالنسبة

(1) د. وليم فهمى ، الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، (القاهرة : معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٧١م) ص ١٠٩.

لليهود وصحيح أن يهود الطائفة حاولوا تجاوز هذه الآثار والتكيف مع الظروف الجديدة ولكن الظروف السياسية وتداعيات الصراع العربي الإسرائيلي تحالفت مع هذه العوامل المساعدة بحيث غيرت تماما من شكل وطبيعة الحياة والعلاقات في مصر وكانت النتيجة هى الرحيل والهجرة .

obeikandl.com